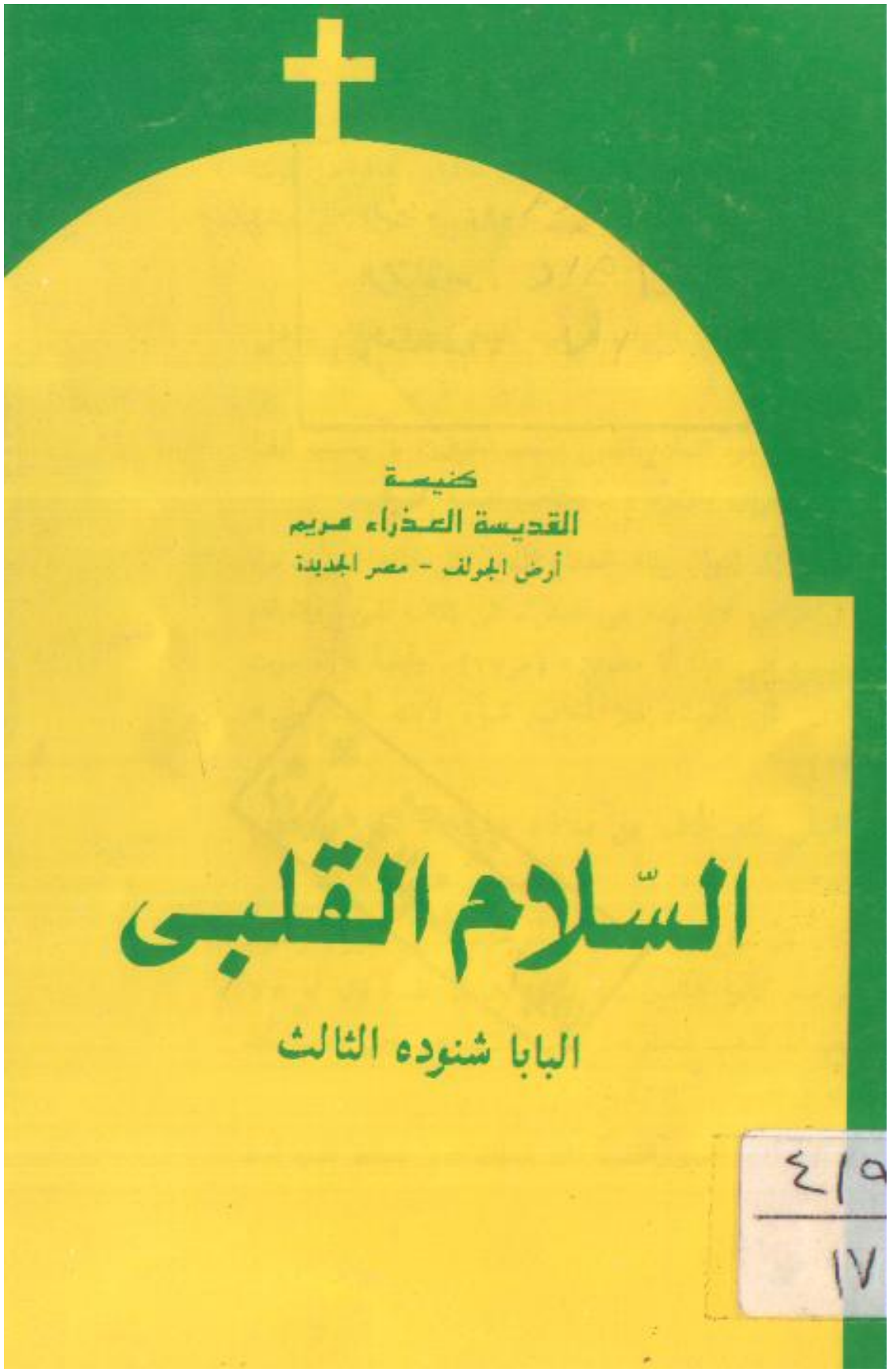

كنيسة
القديسة العذراء مريم
أرض الجولف - مصر الجديدة

السّلام القلبى

البابا شنوده الثالث

٤/٥
١٧

الخـــوف

كثير من الناس - فى مناسبة الزلزال - خافوا ... خافوا من الموت أو من الخراب، أو خافوا من عودة الزلزال مرة أخرى. أو خافوا من الأخبار التى تنشر يومياً فى الجرائد.

وطبعاً كل هذا الخوف، سببه عدم وجود سلام داخل القلب.

إن عدم وجود السلام القلبى يسبب الخوف، بل يسبب أيضاً القلق والإضطراب والانزعاج ... ومتاعب نفسية كثيرة ...

انظروا إلى إنسان يملك السلام قلبه، مثل داود النبى. نراه يقول فى مزاميره «إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن» (مز٢٧). وأيضاً «إن سرت فى وادى ظل الموت، فلا أخاف شراً، لأنك أنت معى» (مز٢٣).

الجيش كله خاف من ملاقاة جليات، لكن داود لم يخف.

كان قلبه مثل قلب أسد، مع أنه كان شاباً صغيراً، وأخوته الأكبر منه كانوا خائفين ... والملك شاول نفسه قال له «لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه» (١صم ١٧ : ٣٣).

ولكن داود القوى القلب قال للملك «لا يسقط قلب أحد

بسببه . عبدك يذهب ويحاربه » وحكى كيف أنه فى صباه كان يرعى غنمه « فجاء أسد مع دب ، وأخذ شاة من القطيع » . ولم يخف داود من كليهما ، بل خرج وراء الأسد ، وأنقذ الشاة من فمه ، وقتل الأسد والدب جميعاً » (١صم ١٧ : ٣٤- ٣٦) .

وعدم خوف داود من جليات الجبار ، كان مرتكزاً على عمل الرب .

قال داود « الحرب للرب » وليس الخلاف بسيف أو برمح ... وقال للجبار « أنت تأتى إلىّ بسيف ورمح وبترس ، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود » « فى هذا اليوم يحبسك الرب فى يدى » ... إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته . لذلك لم يخف مطلقاً . وبإيمانه أدخل اسم الله إلى ساحة الرب ... الله الذى هو أقوى من جليات الجبار ، ومن كل جبابرة الأرض ، لذلك قال عن جليات « لا يسقط قلب أحد بسببه » .

إن الله دائماً يدعونا إلى عدم الخوف .

إنه يقول « لا تخافوا . لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع » « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم » (يو١٤ : ٢٧) . وكان الله دائماً يقوى أولاده ، ويدعوهم إلى عدم الخوف ... لما أحس يشوع بالضعف بعد موت موسى النبى ، قال له الرب « كما كنت مع موسى النبى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك » « تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب » . بل قال له أكثر من هذا « لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٥- ٩) .

وما أجمل العبارة المعزية التي قالها بولس الرسول فى رؤياه «لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأنى أنا معك. ولا يقع بك أحد ليؤذيك» (أع١٨: ٩، ١٠). وعندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو، ظهر له الرب فى رؤياه وعزاه. وقال له «ها أنا معك. وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض» (تك٢٨: ١٥).

إن الخوف دخيل على الطبيعة البشرية،
لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية.

كان آدم يعيش مع الوحوش، مع الأسود والنمور والفهود، ومع الثعابين والدببة، وما كان يخاف. وكذلك كان أبونا نوح فى الفلك مع كل هذه الوحوش. وكان يعتنى بها ويطعمها، وما كان يخاف.

لما آدم أخطأ بدأ يخاف. واختبأ خلف الشجر، وقال للرب «سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاختبأت» (تك٣: ١٠).

وكما خاف آدم بعد الخطية، كذلك خاف قايين.

وقال للرب «ذنبى أعظم من أن يحتمل. ها قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك اختفى. وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض. فيكون كل من وجدنى يقتلنى» (تك٤: ١٣، ١٤) وقضى قايين بقية أيامه فى رعب، فاقداً لسلامه الداخلى.

الخطية تشعر الإنسان بأنه انفصل عن الله مصدر القوة والحماية، فيخاف ...

يخاف من الخطية وانكشافها وفضيحتها أمام الناس، ويخاف من نتائج الخطية، ومن عقوبة المجتمع أو القانون، ويخاف من الله نفسه ودينونته. ويخاف من ضعفه أمام الخطية، ومن الشيطان الذى انتصر عليه ...

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله وستره، فلا يخاف. وإن آمن بمعونة الله له فى ضعفه، فلن يخاف. بمجرد شعوره أن الله معه، ينزع الخوف من قلبه.

الإنسان الخائف، ينظر إلى سبب الخوف، وليس إلى الله الذى ينجيه منه.

جيش الأعداء كان يحيط بالسامرة. وكان اليشع النبى مطمئناً، أما تلميذه جيحزى فكان خائفاً، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة. لذلك قال أليشع لتلميذه جيحزى «لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا» (٢مل٦: ١٦). وصلى إلى الله لكى يفتح عينى الغلام فيرى ...

بالإيمان نرى معونة الله وخلاصه، فلا نخاف.

بطرس الرسول وهو ماش مع الرب على الماء، لما نظر إلى الأمواج «ولما رأى الريح شديدة خاف وابتدأ يغرق» (مت ١٤: ٣٠). وسبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج، وليس إلى المسيح الذى يمسك بيده وينجيه. لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه وقال

له «يا قليل الإيمان، لماذا شككت» (مت ١٤ : ٣١).

والشعب أمام البحر الأحمر من ناحية، وفرعون من ناحية أخرى، خافوا إذ رأوا الموت يهددهم، ولم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب. أما موسى فلم يخف. بل قال للشعب «لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٣، ١٤).

أسباب الخوف

ما أكثر أسباب الخوف، وهى نابعة من داخل الإنسان.

* والبعض يخاف من كلام الناس، ومن بطشهم، ومن مؤامراتهم.

* **والبعض يخاف من حسد الناس.**

وطالما هو يؤمن بالعين الحاسدة وأثرها السيء، سيظل خوفه مستمراً. وليس مصدر خوفه هو قوة عين الحسود، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد.

* وقد يخشى أحدهم من الناس الأشرار، ولا يضع فى قلبه معونة الله.

كان أرميا يخاف من الناس. أما الرب فقال له «لا تخف من وجوههم، لأنى أنا معك- يقول الرب- لأنقذك... هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل

الأرض... فيحاربونك ولا يقدرون عليك، لأنى أنا معك لأنقذك» (أر١: ٨، ١٨، ١٩).

*** وقد يخاف إنسان من قوم، وهم لا يفكرون مطلقاً فى إيذائه.**

مثلما كان شاول الملك يخاف داود، ويطارده فى كل مكان ليقتله، بينما لم يفكر داود إطلاقاً فى أن يؤذى شاول حتى عندما وقع فى يده، وكان بإمكانه أن يقتله ونصحه أتباعه بذلك... قال داود «حاشا لى أن أفعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب، فأمد يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو. وزجر داود رجاله، ولم يدعهم يقومون على شاول» (١صم ٢٤: ٦، ٧)... وقال للملك لما استيقظ «وراء من خرج ملك إسرائيل؟! وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت؟! وراء برغوث»... وكان النتيجة أن شاول الملك رفع صوته وبكى وقال لداود أنت أبرّ منى» (١صم ٢٤: ١٤، ١٦).

*** كان يخاف من وهم. من شىء غير موجود، كخوف الأطفال.**

الطفل يخاف من أوهام. من أمور يتصورها قلبه الخائف، ويخترعها فكره الخائف، مثل أن يخاف من الظلام... وليس وراء الظلام ما يخيف... أو يخاف من (حرامى) غير موجود... أو يخاف من (عفريت) وليس هناك عفاريت... إنها أوهام يخترعها القلب الخائف!

أو يخاف الطفل من وجوده وحده ، وعدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف . ويصرخ الطفل ويبكى ، بلا سبب إلا الخوف ...

وتستمر مخاوف الطفولة عند البعض وهم كبار.

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً والأسئلة معقدة ، أو من التصحيح وقد يكون قاسياً ... وإن نجح وقدم على وظيفة ، وطلبوه للمقابلة ، يخاف من الـInterview ، فربما يفشل فيه ...

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها . ربما لا تعجبه . ربما يذهب ولا يعود . وربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ ... وتخاف من لقاء عريس آخر ، لئلا يذهب كما فعل سابقه ... وتستمر المخاوف ...

★ وقد يخاف الإنسان من الفشل .

فإن قام بأى مشروع ، يخاف أن يفشل . يخاف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة وسرقات من الشركاء .

إن كان فقيراً ، يخاف من العوز . وإن كان غنياً ، يخاف من السرقة . وعلى أية الحالات يخاف ... !

★ وإنسان يخاف من المخاطر .

إن ركب طائرة ، يخاف من أن تحدث لها كارثة ، ويتذكر كل كوارث الطائرات ، وما نشر عنها فى الصحف ... وفى كل

طرق المواصلات، يخاف من الحوادث. لا يضع أمامه النقط البيضاء، إنما كل سجل النقط السوداء حاضر فى ذهنه. فكره هو الذى يتعبه ويخيفه.

* إنسان آخر يخاف من نفسه.

يخاف من عجزه، من عدم قدرته، من نسيانه، من ضعفه أمام قوة منافسيه وخصومه... يخاف من عدم قدرته على الاستمرار. لذلك يفقد الثقة بالنفس، ويفقد روح الجرأة والإقدام، ويفقد البدء بأية مبادرة. صورة العجز والفشل ماثلة أمامه باستمرار... إنه يخاف حتى من الخطية وعجزه عن مقاومتها...

والخوف يسبب له الاضطراب والقلق والانزعاج.

بل الخوف يشل تفكيره عن العمل...

ويكون له تأثيره على نفسه وعلى أعصابه. ويظهر الخوف فى ملامحه، فى نظراته، فى لهجة صوته، فى حركات جسده. بل قد يرتعش، ويصفر وجهه، ويخفق قلبه... ويكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف... وقد يظهر الخوف فى تصرفاته، فى تردده، وعدم قدرته على اتخاذ قرار، وبحثه عن حماية.

وقد يؤدى الخوف من الناس إلى الانطواء... وإلى تكرار عبارة قايين «يكون كل من وجدنى يقتلنى».

أما الإنسان الروحى، فلا يخاف. بل يملك السلام على قلبه.

* وقد يخاف إنسان من الموت.

أو يخاف من المرض الذى يؤدى إلى الموت. وإذا أصيب

بمرض ، تنهار معنوياته ، ويتصور أقصى ما يمكن أن يصل إليه المرض من تطور. مثلما يفعل بعض الأطباء إذا مرضوا ...! وقد يخاف البعض من العدوى ، ويتخذ لتفاديها وسائل تخرج عن الحد المألوف .

أما الإنسان الروحى الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت ، لأن استعداده للموت ينزع خوف الموت فى قلبه ، بل على العكس يحب الأبدية ، ويشتهى الموت الذى ينقله إلى عشرة المسيح والملائكة والقديسين .

السّـــلام

إن الله يريد لنا السلام . وقد جعل السلام فى مقدمة ثمر الروح ، فقال الكتاب « ثمر الروح : محبة فرح سلام ... » (غل ٥ : ٢٢) .

ونحن ندعو الله ملك السلام ونقول له « يا ملك السلام ، أعطنا سلامك ، قرر لنا سلامك » . وكان الرب فى كل لقائه بتلاميذه يقول لهم « سلام لكم » . وقد قال « سلامى أترك لكم ، سلامى أنا أعطيكم » (يو١٤ : ٢٧) . وقال « أى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت » (مت ١٠) .

وما أكثر عبارة (السلام لجميعكم) التى يقولها الكاهن .

يقولها فى بدء كل صلاة طقسية ، وفى بدء الأواشى ، ومرات عديدة جداً فى كل قداس . إنه يريد أن يكون السلام فى قلب

الجميع ، لأنهم إن فقدوا سلامهم ، فقدوا العنصر الأساسي لحياتهم وتعاملهم مع الآخرين ... إنه يطلب لهم سلام القلب والفكر...

قد يفقد الإنسان سلامه ، لأن أفكاره ضده .

أفكاره تصور له المخاوف ، وتجلب له القلق ، فيفقد سلامه الداخلي . وقد تصور له أخطاراً غير موجودة ، أو تبالغ له في تقدير الأخطار . كذلك قلبه المضطرب يكون ضده ، يشجع فكره على مزيد من الاضطراب .

لكي يحتفظ الإنسان بسلامه ، لابد أن يتذكر قوة الله الحافظة .

لابد من الشعور بأن الله موجود ، يعمل من أجله . فالإيمان بالله وتدخله وعمله وانقاذه ، يجلب السلام إلى القلب . كذلك يشعر أن كل ضيقة لها حل ، وعند الله حلول كثيرة . وغير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله . بل أن « كل شيء مستطاع للمؤمن » (مر٩ : ٢٤) .

لكي يحصل على السلام ، يتذكر أن ملاك الله حال حول خائفيه و ينجيهم ، وأننا محاطون بملائكة كثيرين لحفظنا . وتذكار عمل الملائكة كثير جداً في الكتاب المقدس . كذلك عمل القديسين من أجلنا وصلواتهم عنا وشفاعتهم فينا ، وأننا لسنا وحدنا .

يتذكر عمل النعمة ، وعمل الروح القدس فينا ومعنا .

مما يجلب السلام أيضاً مزامير كثيرة معزية .

مثل المزمور (٩١) «الساكن فى ستر العلى، فى ظل القدير يبيت، لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير بالنهار» «يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات، وأما أنت فلا يقتربون إليك...».

أو يذكر المزمور (١٢٠) «الرب يحفظك. الرب يظلل على يدك اليمنى... فلا تضربك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل... الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك».

أو المزمور (١٢٣) «نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض».

وما اكثر المزامير التى تجنب السلام، لذلك قلنا.

«إحفظوا المزامير، تحفظكم المزامير».

«أذكر أيضاً قصص الآباء والشهداء».

الشهداء الذين لم يخافوا الموت ولا التعذيب ولا التهديد، ولا الولاة ولا المحاكمات ولا السجون. وكانوا يرتلون فى السجون، ويفرحون بلقاء الرب... سيرة قلوبهم القوية، تمنحك قوة فلا تخاف، ويملك السلام على قلبك...

كذلك آباء البرية، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى، بل يجدون فيها متعة روحية، وما كانوا يخافون حروب الشياطين،

ولا وحوش البرارى ، ولا دبيب الأرض . وبعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور ، ولا يخاف . ومعروفة قصة أبا مقار الذى نام فى مقبرة وقد وضع جمجمة تحت رأسه ، فتحدث معها الشياطين لكى يفزعوه ، وبكلام هزء ، حتى يفقد هدوء قلبه ... ولم يخف ...

كونوا إذن أقوياء القلب . وعيشوا فى سلام .

لا تخافوا . وليكن لكم سلام فى قلوبكم .